الخطاب النسوي وحركة الواقع العربي المعاصر

الأستاذة فاطمة مختاري – جامعة الأغواط – الجزائر

ملخص :

تختلط على كثير من الناس الأسباب التي من أجلها يضع المجتمع المرأة في مرتبة أقل من الرجل ويفرض عليها قيودا لا يفرضها على الرجل، ويحدد لها دورا معينا في الحياة يرتكز أساسا على الخدمة في البيت ورعاية الأطفال ، وقليل جدا من يدرك الأسباب الحقيقية وراء تلك الفروق الضخمة التي يضعها المجتمع بين المرأة والرجل ويدعي أن الطبيعة هي التي وضعتها. ويتجاهل أن تلك الفروق من صنع المجتمع في كل مجالات الحياة العملية والفكرية.

وفي مجال الكتابة حاولت المرأة البحث عن فضاء في تحرر الأنثى، وحسمت تصورها عن مفهوم حرية المرأة عبر نماذج نسوية متعددة ،حاولت من خلالهن الإشارة إلى الطريق الموصلة إلى هذه الحرية..

المرأة ... مسيرة كفاح :

لقد تعرضت المرأة للكبت والصمت على مر العصور، وفي مختلف الحضارات والثقافات وإن قراءة التاريخ ودراسة التطورات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات توصل الباحث إلى أنه بالرغم من اختلاف المناطق والأزمان وأساليب الإنتاج نجد معظم الحضارات خيطا جامعا يقوم على اعتبار جنس الذكر هو الجنس المتميز، السيد، المسيطر وعلى تبعية جنس الأنثى للرجل وخضوعها له وقد حددت لها مسبقا الصفات المرغوبة اجتماعيا والتي يجب أن تتحلى بها.

كما واجهت مسيرة المرأة عبر التاريخ الكثير من الصعوبات ،ولم تكن المرأة العربية بأوفر حظا من غيرها حيث أنها بقيت في الكثير من فترات حياتها تدور في فلك الرجل، وبمجيء الإسلام طرأ تحول جذري في حياة المرأة ،خاصة من خلال مواجهته الصريحة للرق والعبودية ، ودفاعه عن الحرية والمساواة في الإنسانية بين الرجل والمرأة ،وفي العبادات والواجبات الدينية، وتحريمه وأد البنات ،كما منح المرأة حق الميراث وطلب العلم ، وحق التصرف المالي والاستقلال بذمتها المالية، وكفل لها جميع حقوقها المدنية ، وغيّر القرآن الكريم موقف العرب من المرأة تغييرا نوعيا بعد أن اعترف بمنزلتها وحقوقها ،وأنزلت الكثير من الآيات نظمت أحكام المرأة والأسرة والعلاقات الاجتماعية.[1]

وفي القرون اللاحقة لصدر الإسلام همش دور المرأة وازداد حصار حقوقها ، وأبعدت عن الحياة العامة واستمر انحطاط حالها وقهرت وظل الأمر كذلك حتى أوائل القرن التاسع عشر بداية حركة النهضة العربية.

أما في الغرب قدمت المرأة بصورة سلبية في الأساطير ، فقد أطلق عليها صفة الشر والشعوذة وفي التاريخ تكاد تكون موجودة وغير مسموعة ، حتى أن بعض الفلاسفة كان لهم موقف عدائي من المرأة ، فأرسطو (322-384 ق.م) كانت نظرته دونية للمرأة ،إذ يرى النساء أقل منزلة من الرجال ،ويمكن اعتبارهن عاهة هن والأطفال، وأنهن لم يكتمل نموهم العقلي، لذلك يجب على الرجال تحمل مسؤوليتهن ، ويعقد مقارنة بين النساء والرجال ويرى النساء أكثر حسدا وافتراءا وأكثر ميلا إلى الكذب.

صورة المرأة ودورها في المجتمع :

وفي اللغة كما في التاريخ والأساطير وبعض الأديان تأخذ المرأة المنحى على أنها الجنس الثاني، فعلي سبيل المثال تستخدم الضمائر والأسماء التي تصف الرجال ويشار بذلك إلى الجنس البشري كاملا وهنا تستثير اللغة لدينا إدراكات معينة لأنها مجنسة وتعتمد الصيغة المذكرة ،وفي الإعلام تظهر المرأة بصورتها النمطية، والدراسات الحديثة تفيد بأن النساء أو الإشارة إليهن في وسائل الإعلام أقل من الرجال ،ونلاحظ أن المواضيع الهامة يغطيها الرجال مثلا في برامج التلفزيون ،بينما تعطى النساء البرنامج الأقل أهمية[1].

وترسخت صورة المرأة النمطية من خلال المؤسسات الثقافية والاجتماعية والمدرسة فالمدرسة تساهم في تنشئة الأفراد وفي تعليمهم القيم الاجتماعية السائدة وتساهم في تحديد الدور الاجتماعي للفرد من خلال النماذج التي تقدمها سواء مضمون المناهج والكتب المدرسية أو أسلوب التعليم من خلال النشاطات والألعاب ،حيث تظهر السمات الاجتماعية التي تليق بالذكور كالاستقلال والميل للمنافسة والطموح والميل للمخاطرة والشجاعة والقوة الجسمانية والزعامة والسيطرة، بينما تظهر سمات الإناث كالاتكالية والافتقار إلى المبادرة والضعف والرقة والوقار[2].

فالأدوار الأنثوية في الكتب المدرسية تقع في غالبيتها في المجال الأسري ،حيث دور الأم الحنونة و والزوجة المطيعة التي ترعى شؤون الأسرة والأطفال بينما ترتكز الأدوار الذكورية في المجال العام فهو القائد والمدير والسياسي والكاتب ورب الأسرة والحكيم.

وتدرس سيمون دي بوفوار بعناية المصير التقليدي للمرأة ،وكيف تتلقى شروط حياتها وتتمرس عليها من خلال عرض مراحل تكوين المرأة ابتداء من الطفولة والمراهقة، ثم أوضاع المرأة المتزوجة والأم والمومس وصولا إلى سن الشيخوخة، وتركز الكاتبة على أن أدوار المرأة قد رتبت من أجل استمرار خضوعها ولكن بطريقة مشروعة بحيث تظهر كأنها تلقائية وطبيعية[1].

ويشاركها الرأي الكاتب والناقد نزيه أبو نضال حيث يقول : " تبدأ عملية البرمجة المنظمة للفتاة منذ نعومة أظفارها والقالب الصيني جاهز لا تخرج الفتاة عن حدود مقاسه، فهناك تقسيم صارم للعمل في إطار الأسرة ، فالكنس والطبخ وصنع القهوة من مهمات البنات ،أما الولد فمع أقرانه في الخارج ،وإذا ما أرادت أخته مشاركته يصفها المحيط العائلي بالتعبير الشائع (حسن صبي) ،وإذا كانت كبيرة واقتربت من أعمال الرجال أو مارست بعض سلوكياتهم فسيقال عنها على الفور (امرأة مسترجلة) ،كما تخضع البنت منذ الصغر لرقابة أخلاقية صارمة ،فصوتها يجب أن يكون خافتا وضحكتها منخفضة وحركتها هادئة ومشيتها متزنة ، ونظرتها منكسة ولباسها محتشما "[2].

وهناك إشكاليات تحد من حرية المرأة هي مؤسسة العائلة والمؤسسة القانونية ومؤسسة العرف والمؤسسة الأخلاقية والحكومية بأجهزتها التنفيذية والتشريعية ومؤسسة الرأي العام إضافة إلى مجموعة من القيم والمفاهيم وكم هائل من التراث الحضاري بجميع أشكاله ،حيث يختزن في عمقه مفاهيم الرجولة والأنوثة[3].

المرأة وعالم الكتابة :

إذن، والحال كذلك كيف يتسنى للمرأة أن تكسر جدار الصمت بالمحيط بها ؟ خاصة إن كان لديها نية للاقتراب من عالم الرجولة وعالم الكتابة والذي جرى تخويفها منه حسب القانون التاريخي الذي يمنع المرأة من تعلم الكتابة،كما تمثل فيما قاله خير الدين نعمان بن أبي الثناء " الإصابة في منع النساء من الكتابة ":" أما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله إذ لا أرى شيئا أضر منه بهن ،فإنهن لما كن مجبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة أعظم وسائل الشر والفساد ،وأما الكتابة فأول ما تقدر المرأة على تأليف الكلام بها فإنه يكون رسالة إلى زيد ورقعة وإلى عمر، فاللبيب من الرجال يترك زوجته في حالة من الجهل والعمى، فهو أصلح و أنفع"[1]، وفي ظل هذه الرؤية للمرأة كانت كتابتها بمثابة اقتحام واختراق لعالم التقاليد الذي أرسته السلطة الاجتماعية ، ومن قبلها السلطة القبلية التي لا تقر حرية المرأة في الإفصاح والبوح ومعانقة الهم اليومي.

وفي هذا السياق كتبت فرجينا وولف الكثير عن كتابة النساء ، وتعتقد أن النساء واجهن دائما عوائق اجتماعية واقتصادية تحول دون طموحهن الأدبي، وتبين وولف أن الفقر أو على الأقل غياب الاستقلال المادي يعوق الإبداع ، فتكشف لنا القيم المادية والمعنوية التي عانت منها المرأة الكاتبة في مراحل شتى وهي عدم القدرة على تلقي القدر المناسب من العلم و قلة الفرص لكسب راتب كاف مشقة الأعمال المترلية ومتطلبات الأمومة وغيرها من القيود كأن لا تكون لها حجرة خاصةبها [2].

تغير الحال بعدها وتمكنت المرأة من الكتابة ،وكانت قد مرت بمرحلة الحكي ،حسب ما جاء في كتاب" المرأة واللغة" ،يقول عبد الله الغذامي : " إن أبرز صورة ظهرت بها المرأة في زمن ما قبل الكتابة (كتابة المرأة) هي صورة شهرزاد بطلة " ألف ليلة وليلة" ،حيث لم تكن تحكي وتتكلم أي تؤلف فحسب ولكنها كانت أيضا تواجه الموت من جهة، وتدافع عن قيمتها الأخلاقية والمعنوية من جهة أخرى، كانت تتكلم مرة أخرى لتمارس عليه سلطة اللغة وسلطان النص، ولم يكن للمرأة في زمن الحكي سوى اللسان وسيلة وأداة اتصال، بينما كان يستعمل الرجل اللسان للخطابة وللاتصال الجماهير، كانت هي تحكي في مجال محدود مؤطر مثل لسان شهرزاد الذي يتجه إلى مستمع محدد، وهذا هو المجال الأنثوي بحدوده المرسومة والمقررة.

وعندما شاءت المرأة أن تمدَّ يدها إلى القلم وتكتب "فإنها بهذا تخرج من زمن الحكي وتتحول من كائن مندمج إلى ذات مستقاة تتكلم بضمير الأنا وبالخطاب النهاري المكشوف."[1]

لكن ماذا حدث بعد أن حاولت المرأة الكتابة، وكيف تمت المجابهة مع المجتمع الذكوري لقد جاء رد الفعل عنيفا وشرسا تقول بنت الشاطئ : "والذي مارس وأد البنات في الجاهلية وفي عصرنا الراهن ظل يمارس الوأد الثقافي ضد الجنس المؤنث، وأن مؤرخي الأدب قد تعمدوا طمس أدب المرأة العربية في عصورنا الماضية وأنهم قد ألقوا بآثارها في منطقة الظل ومارس عصر التدوين ورجاله بخس النساء حقوقهن فكان عصر الوأد العاطفي والاجتماعي"[2].

ويرى الغذامي أن سبب غياب الأنوثة التام عن كتابة التاريخ هو غيابها عن اللغة وعن كتابة الثقافة فجاء التاريخ مسجلا بقلم الذكر،أما كورنيليا الخالد فترى " أن تاريخ الأدب العربي كان ومازال تاريخ أدب الرجال تظهر المرأة من خلاله علاقتها بالرجل كملهمة له ونادرا ما تظهر مبدعة بذاتها ،وإذا رجعنا إلى معجم النساء الشاعرات في فترة الجاهلية والإسلام نجد ورود خمس مائة وأربعة من أسماء نسائية لا يعرف إلا بوجود القليل منهن"[1].

وهذا ما تؤكده ناقدة من الغرب بقولها (لقد صنعت النساء تاريخيا بقدر ما صنع الرجال لكن تاريخهن لم يسجل و لم ينقل ،وربما كتبت النساء بقدر ما كتب الرجال ، لكن لم يتم الاحتفاظ بكتاباتهن ، وقد خلقت النساء دون شك من المعاني بقدر ما خلق الرجال ، لكن هذه المعاني لم يكتب لها الحياة، حين ناقضت المعاني النسائية المعاني الذكورية و لم يتم الاحتفاظ بها، وبينما ورثنا المعاني المتراكمة للتجربة الذكورية ،فإن معاني جداتنا غالبا ما اختفت عن وجه الأرض"[2].

هذا يظهر أن الحال لم يكن مختلفا بالنسبة للكاتبات في الغرب ، تقول "أليسا أو سترايكر" "A.ostrike"إن الإحساس بالرهبة والخوف يتحكم في أرواح الكاتبات الإنجليزيات وتتسم كتاباتهن بالجبن والتكتم وتؤكد أن هذا دفع الكاتبات لاستعارة أسماء مذكرة مثل جورج اليوت والأخوات برونتي والتي ظلت لفترة طويلة تكتب تحت اسم رجل ، لأن المجتمع غير مقتنع بإبداعها كامرأة كاتبة"[3].

بعد مراجعة الواقع الاجتماعي وسلسلة الكوابح الاجتماعية التي فرضت على المرأة، نفهم حاجتها الملحة لرفض هذا الواقع والحاجة إلى التعبير والحلم بمستقبل أفضل.

خرجت المرأة بعدها للعمل وأصبحت منتجة وصارت عضوا فعّالا في المجتمع ،وأصبح لها شأنها في الحياة وهيأت الأسباب الكثيرة للمرأة العربية أن تعي دورها في المجتمع بما تلقته على مقاعد الدراسة وبما قرأته من كتب وبما وصلها من أفكار من الغرب ،فثارت اجتماعيا وبدأت ترفض العادات والتقاليد والزواج التقليدي واتجهت للعمل والاستقلال المادي وثارت اقتصاديا وانتقلت من العمل في الميادين الهامشية كالأعمال الكتابية والخدمات وصارت طبيبة ومعلمة وصيدلانية .. ولكنها ظلت داخل مجتمع يفضل عمل المرأة ضمن المجال التقليدي المحدود فانقادت كثيرا للعادات والتقاليد وتمردت أخريات.

إن التطور الذي حدث في الحياة السياسية والاجتماعية وما رافقه من تطور في الحياة التعليمية والثقافية ومحاولة التمرد على الأوضاع التقليدية السائدة قد انعكس في الإنتاج الأدبي والثقافي للمرأة وظهرت آثار ذلك التطور على الأدب النسوي شعرا ونثرا.

وحاولت المرأة الكاتبة البحث في تحرر الأنثى، وحسمت تصورها عن مفهوم حرية المرأة عبر نماذج نسوية متعددة ،حاولت من خلالهن الإشارة إلى الطريق الموصلة إلى هذه الحرية " إن الكتابة عند المرأة المثقفة عامل رئيس في جعلها أكثر تحررا من النساء الأخريات، فهي عن طريق الكتابة امتلكت قوة التعبير عن نفسها بحرية نسبية، كما قدمت رؤية للرجل والحياة والكون، رؤية مشبعة بالتوق إلى الحرية الكاملة والثقة بالمرأة وتصرفاتها وبناء عالمها الاجتماعي المتعادل مع

الرجل .. ساعية من خلال ذلك إنهاء سطوة تاريخ مديد من الوصاية والأبوية والسلطوية "[1].

إلا أن مفهوم حرية المرأة كثيرا ما بدا – حسب طرح الكاتبة العربية – ضبابيا " فكثيرا ما يتم طرح واقع مترد يقتضي الرفض والتجاوز، فتسارع الكاتبة إلى تقديم بدائل ما تلبث أن تثبت أنها غير مقنعة ومن هنا تبادر هذه الكاتبة إلى التخلي عن مطالبها ومشاريعها البديلة بعد تجربة حافلة بالفشل "[2]، ونحن هنا نتحدث عن كاتبات الخمسينات وحتى منتصف الستينات.

كما قدمت الكاتبات أنماطا وصورا نسائية لم توجد في رواية الرجال، فهزت الذائقة الأدبية التي احتجت على غلبة موضوع المرأة في روايتها فوجهت لها تهمة تضخم الذات والفردية وأثارت ضدها الفئات الاجتماعية التي احتجت على نمط البطلة المتمردة أو الخارجة على الأعراف، أو على توظيف عنصر الشتائم في النص الروائي ،فوجهت لها تهمة الإباحية واللاأخلاقية .

كما كان خطاب المرأة في الرواية النسوية جزءا من الخطاب العام والذي مال في أغلبه إلى رصد التشويه والخلل الماثل في بنية المجتمع ،وإضاءة ملامح اغتراب الذات الأنثوية بخاصة – في هذا المجتمع – وبذلك اتسقت اهتمامات الرواية النسوية وانشغالاتها مع الطابع الأساسي الذي ميز الرواية العربية – في مجملها – كرواية اعتراض وانتقاد، وإعادة قراءة لتراجع الذات، واستنهاض لقواها الفاعلة، وذاكرتها الحضارية[3].

الكتابة الروائية النسوية واتجاهاتها :

أما فيما يتعلق بمسيرة الكتابة الروائية النسائية العربية، فالملاحظ أنها استمرت محافظة على أسلوبية الروايات التاريخية التعليمية حتى فترة متأخرة من منتصف القرن العشرين، ولم تبدأ مساهمتها في الرواية الرومانسية إلا بحلول الخمسينات، وهي فترة شهدت تنوعا بين الرواية الرومانسية الاجتماعية والرواية الوجودية، في حين كانت رواية الكاتب الرجل قد قدمت تيارات متنوعة من الرومانسية والواقعي، الأمر الذي عكس تباينا بين المسيرتين.

وقد تميزت الرواية الرومانسية التي كتبتها المرأة خاصة، بضعف واضح في بينتها الفنية فغالبا ما اعتمدت المبالغات والمصادفات لصنع الحدث الروائي وتطويره، وانتهت نهاية سعيدة بالنسبة للبطلة التي اختارت ما يمليه عليها حس الواجب الاجتماعي،فَضَحَّت من أجل الآخرين في سبيل إسعادهم أو من أجل ما تصورت أنه الواجب.

كما انشق عن الرواية الرومانسية الاجتماعية اتجاه ثوري يختلف عن الاتجاه الأول المسالم في كونه قدم صورة للمرأة الثائرة والغاضبة على أوضاعها، الرافضة للزيف الاجتماعي الراغبة في تحقيق توازن جديد لا يقمع حريتها، فتنجح أو تخيب.

أما بطلات الرواية الوجودية يفصحن أكثر من غيرهن عن النموذج الغاضب اللامنتمي ويشاركن مع البطلات الأخريات في أن رفضهن وغضبهن ليس ضد رجل بعينه، وإنما ضد صيغ اجتماعية تخلق أنماطا من العلاقات تثقل الروح المتطلعة للحرية وتخنقها، لتظهر بعدها الرواية الواقعية التسجيلية والنقدية ذات الملامح الاشتراكية [1].

أما في عقد التسعينات قدمت الروايات النسائية نماذج عديدة للرواية الحديثة، وإن استمرت التيارات السابقة بتنوعها، وقد سعت هذه الروايات الجديدة للتعبير عن العلاقات الاجتماعية القائمة والإسهام في خلق علاقات جديدة كونها تصدر عن وعي جمالي، يتخطى حدود الوعي السائد ويتجاوزه إلى آفاق جديدة ، " لهذا فإن مهمة الرواية الحديثة ليست في خطابها الوعظي والإرشادي والتعليمي بل في تمثلها وتجسيدها رؤية فنية كاشفة لعلاقات خفية، ومن خلال هذا الكشف الجديد تتولد المتعة والتشويق والجاذبية، كما أنها تهتم بالثابت والباطن والجوهري أكثر من اهتمامها بالمؤقت والعرضي والطارئ والسطحي والهامشي"[1].

لقد حاولت بعض الكاتبات الانطلاق من المفاهيم الإنسانية بغض النظر عن جنسها ، فإذا كانت إنسانية المرأة تقتضي أن تتعلم وتبني الوطن ، فعليها أن تفعل ذلك دون التنكر للأنوثة وللإنجاب ،لأنهما ركنان هامان في تكوين المرأة لا يتعارضان ـــ من حيث المبدأ ـــ مع الأركان الأخرى ، بل يتماشيان ويندمجان معا.

فالمشكلة لا تكمن في الأنوثة، بل بنظم اجتماعية واقتصادية سائدة ، فعلى المرأة المثقفة أن تمتلك وعيا وإدراكا عميقين للتأثير في بنات جنسها، وانتشالهن من بئر العدم الذي يغرقن فيه وهذا لا يتم بالازدراء والاستخفاف والتعالي ووضع الحواجز، بل بالتفهم والاستيعاب والاقتراب منهن لانجاز التأثير الذي لن يكون سريعا "فالتطور بطيء الإيقاع ضمن شروط مجتمع متخلف يتمسك بالتقاليد تمسكا يفوق تمسكه بالدين."[2]

ومع مرور الزمن و تراكم التجربة ومع المتغيرات ،بدأت الرواية النسوية تقترب في معالجتها لموضوع المرأة من ردم ثنائية الرجل والمرأة، وأخذت تنظر نظرة

أكثر شمولية وهدوءا ونضجا تربط حرية المرأة بحرية أوسع وأشمل وهي حرية المجتمع ، كما في روايات سحر خليفة على سبيل المثال ، وأخذنا نلتقي بأعمال نسوية تخلت عن ضبابية الرؤية لحرية المرأة ، فطرحت رؤية صحيحة معافاة ترى العمل حجر الزاوية في حياة المرأة لا يمكن التخلي عنه أيا كان السبب.

إن هذا التطور في مفهوم حرية المرأة وربطها بحرية المجتمع، بالإضافة إلى استيعاب الوضع العام الذي تعيشه المرأة يجعلان الدارس يعيد النظر بصحة النقد الموجه للرواية النسوية ويبين عدم ربط ظاهرة الأعمال الروائية النسوية بالمجتمع الذي نشأت فيه، فقد قيل: "العالم هو المحور فيما يمكن أن نسميه رواية الرجال، أما في الرواية النسائية فالمحور هو الذات، ولهذا كانت قوة البناء هي المطلب الفني الأول في رواية يكتبها رجل أما الرواية التي تكتبها امرأة فتستمد جماليتها في المقام الأول من غنى العواطف وزخم الأحاسيس."[1]

وقد وجه شبيه هذا النقد إلى الرواية النسوية في أوربا أمريكا، فقد قيل إن الرواية النسوية"محدودة منذ نشأتها فهي تنغلق على المشاكل الشخصية"[2]، فالرجال يكتبون عن الاغتراب بينما تكتب النساء عن العلاقات وكتابتهن صغيرة ذاتية وشخصية عاجزة عن الارتباط بالآخر.

وإذا كانت الرواية النسوية الأوروبية قد أثبتت عكس هذه الرؤية واستطاعت مجاراة الكاتب الرجل في تطرقها لجميع المواضيع التي ترتبط بالمجتمع ،كذلك الكاتبة العربية اتسعت دائرة معرفتها عن ذي قبل، فلم تعد ملتصقة بالذات فقط بل انفتحت على العالم الكبير، تحاوره وتعيش منصهرة في بوتقته محترقة في آلامه ومشاركة في صياغة حاضره .

لقد استجابت الروائية العربية للمنعطفات الهامة في الواقع العربي، ولمتغيراته السريعة فالتحمت به وخرجت من التقوقع داخل الذات النسوية، وبدأت الرواية تتجه نحو النضج الفكري والفني، مما حدا بالنقد إلى تغيير بعض زوايا رؤيته للرواية النسوية، فقد أشار سيد حامد النساج إلى أن المرأة الكاتبة انطلقت تعبر عن موقفها مع أحداث الحياة التي تجري من حولها، ولم تعد منكفئة على همومها الخاصة .[1]

وقبله بسنوات تحدث شكري عياد عن جيل الكاتبات الشابات فقال: "إن إنتاجهن في جملته نتاج عربي أصيل ينتمي إلى مزاجنا وتاريخنا وظروفنا الاجتماعية الخاصة ،إنه تعبير عن الفتاة العربية التي بدأت تعيش منذ بضع سنوات فقط في ظروف تكاد تشبه الظروف التي يعيش فيها الفتى ، فهي تتعلم لتعمل، وتعمل لتعيش، وتصبر على شظف الحياة، وتحلم بالمستقبل كما يصبر الفتى ويحلم ...وهذا الجيل الجديد من الفتيات يسير نحو النضج في فترة تتغير فيها معالم المجتمع القديم كله، وينظر الناس جميعا رجالا ونساء، شيبا وشبابا ينظرون إلى المستقبل في لهفة وترقب.."[2]

إذا لقد بدأت الرواية النسوية بعد النكسة وخاصة في السبعينات وما تلاها، تتخفف من عبء الأنا وبدأت بعض الأعمال تنال اعتراف النقاد وتقديرهم، صحيح أن الموضوع الرئيسي مازال المرأة، إلا أن الكاتبة لم تعد تطلق احتجاجها صرخات حادة، وتتخذ موقفا متشنجا بل اتجهت إلى تحليل الواقع الذي يعيش فيه كل من المرأة والرجل، وربطت همومها الفردية بالهموم العامة دون أن تنسى اضطهاد الرجل لها ومطالبتها إياه بالاعتراف بإنسانيتها وحقوقها.

لاشك أن الساحة الروائية العربية تحتل بعض أركانها كاتبات متميزات استطعن أن يقدمن إضافات هامة إلى الرواية العربية، أديبات امتلكن الموهبة والثقافة والجرأة والصبر والرغبة الصادقة الجادة والمخلصة في إنتاج أدب يلتحم بالواقع، يقدح شرارته ويُشعله ثورة، دون أن يتحول إلى رماد، بل إلى شعلة مضيئة تنير الدرب وتمتع الفكر وتسعد الروح، أديبات امتلكن النضج وسعين إليه، فاكتوت نفوسهن في سبيله وأحرقن صفحات كثيرة في التدريب والممارسة وقول ما يفيض به الفكر وتطفح به النفس، هؤلاء الأديبات كأحلام مستغانمي وسحر خليفة وحنان الشيخ وحميدة نعنع وخناثة بنونة.. وغيرهن قدمن أعمالا أصيلة ترقى إلى مستوى الأدب الرفيع ،هذا الأدب الذي لا يصح أن نلحق به تسمية تميزه بجنس من كتبه بل بالحامل الفكري والفني له.

إن النضج الفني والفكري متلازمان في أي عمل فني، فلا يأتي أحدهما دون الآخر، وهذا ما نلمسه في الروايات النسوية، فهناك نسبة ضئيلة من الروايات تعاني من الضعف الفكري وأحادية الرؤية وضبابيتها،إن لم نقل غيابها في بعض الأحيان وبالتالي تعاني الضعف الفني هذا الضعف نلقاه في رسم الشخصيات وتصوير البيئة واللغة والحوار وهناك أعمال كثيرة من الصعب أن نطلق عليها اسم رواية إن زناها بميزان النقد الروائي، ولكنها تبقى محاولات روائية على النقد أن يشجعها .

فإذا ما وجهنا النظر مثلا في الرواية النسوية الخليجية، فسنرى أن معظم الروايات مازالت تعاني من العثرات ومازلنا نلتقي فيها بالافتعال، والمغامرات والصدف والمبالغات والضعف اللغوي ومخاطبة القارئ وتوجيهه للانتقال من حدث إلى آخر لضعف الروابط والأحداث وهذا يرجع إلى الواقع الذي تعيشه الأديبات وما يميزه من شدة وصرامة وحجر على كتابات وإبداع المرأة، وكل ذلك لا

يساعد الكاتبة على الإطلاع على الجديد ولا على الإبداع والابتكار إلا من كان لها الحظ وخرجت من هذا المجتمع ودرست بالخارج واطلعت على آداب الأمم الأخرى .

وما نخلص إليه مما تقدم في هذا العنصر أن الرواية النسوية العربية، بعد مرحلة البدايات الأولى في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، عانت ما يقرب من نصف قرن من صعوبات جمة ومتنوعة المصادر، وقد حملت أول ما حملته هَم المرأة وطالبت بحريتها في ظل واقع متسلط، وبعد النكسة وبالتحديد في السبعينات انفتحت على المجتمع العربي بغنى مشاكله وتعقدها وتشابكها وحملت الهم الوطني، وبدت بعض الروايات ناضجة فنيا وشاركت مشاركة نشطة في تحديث الرواية العربية ووضعها في قالب فني يستجيب لمنجزات الرواية الحديثة دون أن تنقطع عن الواقع العربي الذي هو المشروع الأول لكل كتابة جادة.

الهوامش:

[1] **– أنظر عودات حسين ، المرأة العربية في الدين والمجتمع ، الأهلي للطباعة والنشر ، دمشق ، 1996 ، ص .72**

[2]- Maltin.M, the psychology of women, 3rded , New York : HARCOURL-BACE COLLEGE PUBLISHERS p 31-45.

[3] **– أنظر حداد ياسمين ، الصورة النمطية للجنسين ، مضامينها وأبعادها،مجلة دراسات،ع15،1998 ،ص7–45.**

[4]- Beauvoir simonde , the second sex reprint of the [1953]ed published by knopt , new York **p** [20].

[5] **– نزيه أبو نضال، الشرط الاجتماعي وقصور الوعي في الرواية النسوية العربية، في خصوصية الإبداع، وزارة الثقافة عمان،1997 ص،.215**

[6] **– أنظر صالح حمارنة ، غالب هلسا والمرأة ، المجلة الثقافية ، ع29 ، ص130–135.**

[7] **– علي القريشي ، نص المرأة من الحكاية إلى التأويل ، المدى ، دمشق ، 2000 ، ص 56.**

[8]- Woolf Virginia, A room of one's own, (HARMONDSWORT IH, PENEGUIN, 1945) 1929, p35.

[9] **ــ عبد الله الغذامي ، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،1996، ص 57.**

[10]ــ عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ ، الشاعرة العربية المعاصرة ، ص2 .

[11]ــ كورنيليا الخالد ، المرأة العربية الإبداع النسائي ، النظريات النسوية ، ص .09

[1] [2] Spender DALES , MAN MADE LANGUAGE , PANDORA PRESS , LONDON 1980 , p 53.

[3] [1] OStrike ALICIA , writing LIKE A WOMAN , university of Michigan press, ANNARBOR 1991 , p 11.

[14] – عبد الله الغذامي ، المرأة واللغة ، ص 190 .

[15] – إيمان القاضي ،الرواية النسوية في بلاد الشام ،دار الأهالي، دمشق،1992، ص 97-98.

[16] – أنظر المرجع نفسه ، ص.99

[17] – المرجع نفسه، ص11

[18]– شكري عزيز الماضي ، الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين ،دار الشروق،الأردن، 2003. ص.35

[19]– جورج طرابيشي ،الأدب من الداخل، مجلة الآداب ، السنة11، ع مارس،1993 ،35.

[20]– المرجع نفسه ،ص 36.

[21] – كارمن البستاني الرواية النسوية الفرنسية، الفكر العربي المعاصر، بيروت،ع1985،34،ص.124

[22]ــ سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة ،دار التراث ،القاهرة،1997، ص .85

[23]– شكري عياد، تجارب في النقد والأدب، دار الكتاب العربي، القاهرة ،ط ،1967 ،ص 272.

***